فضـــل زمـــزم

وزمزم تجري بين عينيك أعينا　　　من الكوثر المعسول منفجرات

أحمد شوقي

□ فضـــل زمـــزم □

زمزم .. وما أدراك ما زمزم !! ركضة جبريل ، هَزْمَة المَلَك ، سُقْيَا إسماعيل ، برة الشُّباعة .

إيه يا شراب الأبـــرار .

صادٍ رواه النَّوى بالجدْب والسقمِ	أمسى يقاسي من الهجران والندمِ
هلّا رويت جديب القلب من قيمٍ	تُحيي الموات ، وتزكي شعلة الهمم[1]

إيه يا خير ماء ويا سيد المياه !

يا ماء زمزم أطفىء النار التي	فتكت بقلبي المغرم الحيران
ظمآن أظماني الحنين وعادني	شوقٌ يؤرق مهجتي وجناني
يا بئر زمزم إن بعدت فإنني	بالروح زرتك والحبيب سقاني
فمتى أطير إلى رباك وأرتوي	من نبعك العذب الذي روّاني
فمتى يعود الحلم فيك حقيقة	وأرى صفاء معينك الرباني

اعلم يا أخي أن الشرب من زمزم من سنن الحج[2] .

• من أسماء زمـــزم :

زمزم، ركضة جبريل، هزمة جبريل، الشُّباعة، زَمَّمُ، زُمَزِم، الرَّواء، زُمزم، زمازم، مكتومة، مضنونة، سُقيا، شفاء سقم، طعام طُعْم، حفيرة عبد المطلب[3] .

(١) عصر الشهداء : ديوان شعر لنجيب الكيلاني ص ٨٧ .

(٢) فتح الباري ٣ /٥٧٧ .

(٣) انظر لسان العرب ١٢ /٢٧٥ ، المصنف لعبد الرزاق ٩١٢٥ ، ٩١٢٠ .

قال وهب بن منبه : « نجدها في كتاب الله ، يعني : زمزم ، شراب الأبرار ، مضنونة ، طعام طعم ، شفاء من سقم ، ولا تُنْزَح[١]، ولا تذم »[٢] .

• سبب التسمية :

قال ابن حجر في [الفتح] ٣ /٥٧٦ :

« سميت زمزم :

- لكثرتها ؛ يقال : ماء زمزم ؛ أي : كثير .
- وقيل : لاجتماعها ؛ نقل عن ابن هشام ، وقال أبو زيد : الزمزمة من الناس : خمسون ونحوهم .
- وعن مجاهد : إنما سميت زمزم لأنها مشتقة من الهزمة ، والهزمة الغمز بالعقب الأرض . أخرجه الفاكهي بإسناد صحيح .
- وقيل : لحركتها ، قاله الحربي .
- وقيل : لأنها زُمت بالميزان لئلا تأخذ يمينا وشمالا .
- وقال المسعودي : سميت به ؛لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فزمزمت عليه ، والزمزمة : صوت تخرجه الفرس عند شرب الماء » .

• قصة زمزم :

روى البخاري في [صحيحه] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما اتخذ الناس المِنْطَق من قِبَل أم إسماعيل ، اتخذت منطقا لتُعَفِّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسِقاء[٣] فيه ماء ، ثم قَفَّى[٤] إبراهيم

---

(١) يعني : لا يفنى ماؤها ، ولا ينتهي .

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٩١٢١ .

(٣) القربة الصغيرة .

(٤) ولّى راجعا .

منطلقا ، فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية[١] حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع** – حتى بلغ – **يشكرون** ﴾ [إبراهيم:٣٧] .

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى – أوْ قال : يتلبط[٢] فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فلذلك سعى الناس بينهما » .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صَهٍ[٣]– تريد نفسها – ثم سمعت أيضا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غِوَاث[٤]، فإذا هي بالمَلك عند موضع زمزم . فبحث بَعقبه – أو قال : بجناحه – حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا[٥] وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف .

---

(١) مكان عند مدخل مكة .

(٢) يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض .

(٣) صَهْ أو صَهٍ : كأنها خاطبت نفسها فقالت لها : اسكتي .

(٤) مغيث .

(٥) هو حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم - أو قال : لَوْ لَمْ تغرف من الماء - لكانت زمزم عينا مَعِينا »[١] .

قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضَّيْعة ، فإن هاهنا بيت الله يَبْني هذا الغُلامُ وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله .

وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك[٢] حتى مَرَّتْ بهم رفقة من جرهم .... الحديث .

إيه يا جبال فاران ... يا رمال فاران ... موضع مكة الآن حدثي عن صدق بيت النبوة .. والتوكل والتفويض ... وفي سمع الزمان يبقى صوت أم إسماعيل : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ... آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا .

وقالتها لجبريل حين قال لها : من أنت ؟ قالت : أنا هاجر ، أو أم ولد إبراهيم ، قال : فإلى من وكلكما ؟ قالت : إلى الله . قال : وكلكما إلى كاف[٣] . إذن فلن يضيعنا .

يبقى في سمع الزمان نداء إبراهيم : ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة** ﴾ .

يتجلى في هذه الآية الكريمة صدق إبراهيم وزوجه وصدق تفويضهما .. يسكن زوجه وولده بهذا الوادي المجدب المقفر ، حيث لا حسيس ولا أنيس ، ويذكر الوظيفة التي أسكنهم من أجلها .. ليقيموا الصلاة .. فهذا هو الذي من أجله أسكنهم هناك ... وهذا هو الذي من أجله يحتملون الجدب والحرمان ...

(١) ظاهرا جاريا على وجه الأرض .

(٢) قال ابن حجر في الفتح ٦ /٤٦٣ : « فيه إشعار بأنها - أي هاجر - كانت تتغذى بماء زمزم فيكفيها عن الطعام والشراب » . اهـ .

(٣) رواية الطبري .

أسكنهم لإقامة حق الله ، لا لطلب حظوظهم .

ما كان إبراهيم يجهل إذْ أتى بك هاهنا أن الغيوب فساحُ
كشف الحجابُ له .. وألهم دعوة قدسية[١] فإذا الجواب متاح[٢]

أسكنهم بوادٍ غير ذي زرع حيث لا تتعلق بالأغيار قلوبهم ، ولا تشتغل بشيء أفكارهم وأسرارهم ، فهم مطروحون بباب الكريم ، مصونون بحضرته ، مرتبطون بحكمه ، إن تولاهم كفاهم وكانوا أعز خلق الله ، وإن أقصاهم نفاهم ، وكانوا أضعف وأذل خلق الله .

﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ﴾ .

رقة ورفرفة .. قلوب رفافة مجنحة ، وهي تهوي إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب . دعاء يندّي الجدب برقة القلوب .

﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ لماذا ؟ أليأكلوا ويطعموا ويستمتعوا؟ نعم ! ولكن للشكر .

إيه يا أم النبي ويا زوج الخليل .. موقف يعجز عنه الرجال ، تستطريه بتوكلك .. إذن فلن يضيعنا ... وهاهي تستروح الماء لنفسها ولطفلها الرضيع في تلك الحرة الملتهبة ، وهي تهرول بين الصفا والمروة ، وقد نهكها العطش ، وهدّها الجهد ، وأضناها الإشفاق على الطفل ، وحيدها ، ثم ترجع في السابعة وقد حطمها التعب ؛ لتجد النبع يتدفق بين يدي الرضيع الوضيء .. وإذا هي زمزم ينبوع الرحمة في صحراء اليأس والجدب .. إذن فلن يضيعنا . تركت وراءها كل شيء ، ووجدت في زمزم كل شيء « زمزم لما شرب له » جزاء من جنس العمل .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ... ﴾ الآية .

(٢) وبعده :

وإذا الأمانيّ الحسان كأنها روض تضوّع عطره الفوّاح

أرأيتِ «هاجرُ» إنّ «إسماعيل» لن يشقى.. وسيماء الكريم فلاحُ

إذن فلن يضيعنا .. فيقول لها الملك : لا تخشي الضيعة .. إن الله لا يضيع أهله .. جزاء من جنس العمل .

قال رسول الله ﷺ : « إن جبريل لما ركضَ زمزم بعقبه ؛ جعلت أم إسماعيل تجمع البطحاء ، رحم الله هاجر لو تركتها كانت عينا معينا » .

إن الله لم يرسل رجلا من البشر ليحفر البئر .. موقف أم إسماعيل تعجز عنه رجال الأرض .. إذن فلتحفره السماء .. يالله ! جبريل أمين الوحي هو الذي يضرب بعقبه .. يا لنبع فجّره عقب جبرائيل أمين الوحي .. .

لكأن كل قطرة من هذا الماء تحكي قصة تروى ، وتحوي ظلّا وديعا لطيفا يروّي هجير دنيانا .

وصار السعي دينا ... وصار الشرب سنة .

هذا جبريل يحفر ورسول الله يتمنى أن يسقى .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : أفاض رسول الله ﷺ إلى البيت يوم النحر ، فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فقال : « انزعوا بني عبد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم » . فناولوه دلوا فشرب منه[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل ، اذهب إلى أمك ، فأتِ رسول الله ﷺ بشراب من عندها .

(١) صحيح : رواه النسائي، والضياء في المختارة وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن حبان في صحيحه وابن شاهين، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٠٥١، والأحاديث الصحيحة ١٦٦٩ .

(٢) أخرجه مسلم، وابن خزيمة .

فقال رسول الله ﷺ : « اسقني » . فقال العباس : يا رسول الله ، إنهم يجعلون أيديهم فيه !! فقال رسول الله ﷺ : «اسقني » . فشرب منه ، ثم أتى زمزم ، وهم يسقون ويعملون فيها فقال : « اعملوا ، فإنكم على عمل صالح » . ثم قال : « لولا أن تُغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه » . يعني : عاتقه ، وأشار إلى عاتقه .

ويبوب الإمام ابن خزيمة لهذا الحديث بعنوان : باب استحباب الاستقاء من ماء زمزم ، إذ النبي قد أعلم أنه عمل صالح ، وأعلم أن لولا أن يغلب المستقي منها على الاستقاء لنزع معهم .

هكذا يا أم إسماعيل ، إن من قام بحق الله أقام الله بحقه قومه ، بل أعز قومه وأطهر خلق الله ، وصارت القلوب من كل بر وبحر كالمجبولة على محبة تلك النسبة ، والشرب من الماء ، حتى وإن وضعت الأيادي فيه .

○ فضل زمزم ○

• الفضيلة الأولى : غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم :

عن أنس بن مالك : كان أبو ذرٍ رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « فُرِج سقفي وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج إلى السماء الدنيا . قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح . قال : من هذا ؟ قال جبريل »[1] .

وقال ﷺ : « أتيت ليلة أسري بي ، فانطلق بي إلى زمزم ، فَشُرِح عن صدري ، ثم غُسِّل بماء زمزم ، ثم أُنزل ».

(١) رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، وأحمد، والبغوي في شرح السنة .

لَوْ لم يكن لزمزم من فضل إلا هذا لكفى .. يغسل بها أطهر قلب ؛ فتزيد طهرا على طهر في أطيب المواقف قبل الإسراء .

وفي هذا الحديث فضيلة ماء زمزم على جميع المياه .

قال ابن أبي جمرة رحمه الله : وإنما لم يغسل بماء الجنة ، لما اجتمع في ماء زمزم من كون أصل مائها من الجنة ، ثم استقر في الأرض فأريد بذلك بقاء بركة النبي ﷺ في الأرض .

وقال السهيلي رحمه الله : لما كانت زمزم هزمة جبريل روح القدس لأم إسماعيل جد النبي ﷺ ناسب أن يغسل بمائها عند دخول حضرة القدس ومناجاته .

وصح عن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني أنه قال : إن ماء زمزم أفضل من الكوثر ؛ لأنه غسل صدر النبي ﷺ به ، ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه[(١)] .

• **الفضيلة الثانية : خير ماء على وجه الأرض :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ[(٢)]: « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام من الطعم ، وشفاء من السقم ، وشر

(١) العقد الثمين ١ /٩٢ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وابن حبان ، والضياء عن ابن عباس . قال المناوي : قال الهيثمي رجاله ثقات، وصححه ابن حبان، وقال ابن حجر : رواته موثّقون، وفي بعضهم مقال، لكنه قوي في المتابعات، وقد جاء عن ابن عباس من وجه آخر موقوفا . وصححه السيوطي والألباني في صحيح الجامع برقم ٣٣١٧، والصحيحة برقم ١٠٥٦ .

ماء بوادي بَرهوتَ ، بقبة حضرموت ، كرجل الجراد[١] من الهوامّ ، تصبح تتدفق وتمسي لا بلال فيها »[٢].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله : ماء زمزم سيد المياه وأشرفها ، وأجلها قدرا ، وأحبها إلى النفوس ، وأغلاها ثمنا ، وأنفسها عند الناس ، وهو هَزْمة جبريل وسقيا الله إسماعيل . ماء زمزم للجائع طعام ، وللمريض شفاء من السقام ، قد فُضل ماؤها على الكوثر حيث غُسِّل منها القلب الشريف الأطهر .

• الفضيلة الثالثة : لا يتضلع منه منافق :

عن عثمان بن الأسود ، حدثني عبد الله بن أبي مليكة قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : من أين جئت ؟ فقال : شربت من زمزم . قال : شربتها كما ينبغي ؟ قال : وكيف ذا يا أبا عباس ؟ قال : إذا شربت منها ، فاستقبل القبلة ، واذكر اسم الله ، وتنفّس ثلاثا ، وتضلع منها ، فإذا فرغت منها ، فاحمد الله ، فإن رسول الله ﷺ قال : « إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم »[٣]. هذا الحديث قرة عين للمخلصين الصادقين ، ويفضح المنافقين فحذارِ ، فإن زمزم اختبار لقلبك .

التضلع : هو الإكثار من الشرب حتى يتمدد الجنب والأضلاع ، فيقال : شرب فلان حتى تضلع ؛ أي : انتفخت أضلاعه من كثرة الشرب .

---

(١) رجل الجراد: القطعة العظيمة منه ولا يقال إلا للجراد، وهو جمع لا واحد له من لفظه.

(٢) لا بِلال فيها : البلال يطلق على الماء ، وما يبل به الحلق من ماء أو لبن . لا بِلال جمع بلل : أي : ليس بها قطرة من ماء .

(٣) صحيح لغيره : رواه الحاكم في المستدرك ، وابن ماجة في سننه ، وعبد الرزاق في مصنفه ، والدارقطني ، والبخاري في التاريخ الكبير ، والبيهقي ، والطبراني ، والضياء في المختارة. وذهب لتصحيحه عبد الله بن حمد اللحيدان في تحقيق مختصر استدراك الحافظ الذهبي لابن الملقن ١ / ٣٥٥ وضعفه الشيخ الألباني في الإرواء ٤ / ٣٢٨ .

• الفضيلة الرابعة : ماء زمزم لما شرب له :

قال رسول الله ﷺ : « ماء زمزم لما شُرب له »[1]. وقال المناوي : سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا ، وأحبها إلى النفوس وهمزة جبرائيل وسقيا إسماعيل .

« لما شرب له » لأنه سقيا الله ، وغياثه لولد خليله ، فبقي غياثا لمن بعده ، فمن شربه بإخلاص ؛ وجد ذلك الغوث ، وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها ، قال الحكيم : هذا جار للعباد على مقاصدهم وصدقهم في تلك المقاصد والنّيات ؛ لأن الموحد إذا رابه أمر فشأنه الفزع إلى ربه ، فإذا فزع إليه استغاث به وجد غياثا ، وإنما يناله العبد على قدر نيته .

قال سفيان الثوري : « إنما كانت الرقى والدعاء بالنية لأن النيّة تبلغ بالعبد عناصر الأشياء ، والنيات على قدر طهارة القلوب وسعيها إلى ربها ، وعلى قدر

(١) حسن : رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجة في سننه ، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه ، والطبراني في الأوسط ، والخطيب في تاريخه، وابن عدي في الكامل ، وعمر بن شبة في كتاب مكة ، والحكيم الترمذي عن جابر .
أما حديث ابن عباس فرواه الدارقطني في السنن ، ورواه الحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي ورواه سعيد بن منصور في السنن، وعبد الرزاق في مصنفه، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول .
أما حديث ابن عمر وابن عمرو فرواه البيهقي في الشعب . وصحح ابن دقيق العيد حديث ابن عباس. وللحافظ ابن حجر جزء في هذا الحديث ذهب فيه إلى تحسين هذا الحديث . قال المناوي: « قال ابن القيم : والحق أنه حسن ، وجزم البعض بصحته ، والبعض بوضعه مجازفة » اهـ .
وقال الزركشي:أخرجه ابن ماجة بإسناد جيد وقال الدمياطي إنه على رسم الصحيح، وصححه ابن عيينة، والسيوطي والألباني في صحيح الجامع رقم ٥٣٧٨ والصحيحة رقم ٨٨٣، والإرواء ١١٢٣ .

• استحباب توديع البيت بشرب منها :

قال مجاهد : كانوا يستحبون إذا ودّعوا البيت أن يأتوا زمزم فيشربوا منها .

ومن فضائل ماء زمزم أن يكون صبوحا لمن يشرب منه ، ويعين على الإطعام ، وليس هذا لأي ماء سوى ماء زمزم .

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : تنافس الناس في زمزم في الجاهلية ، حتى إن كان أهل العيال يغدون بعيالهم ، فيشربون ، فيكون صبوحا لهم ، وقد كنّا نعدها عونًا على العيال .

لما هاجر الخليل بهاجر وابنها ، أوضع بهما فوضعهما هنالك ، وتولى راضيًا بمنْ تولاه يوم حرقوه فقالت هاجر : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . فرجعت متوكئة على منسأة التوكل على مَنْ لا ينسى .

فجعلت تشرب ما معها من ماء ، وترضع لبنها ابنها . فلما نفدا جعل إسماعيل يتلوى على رمض رمضان الصوم ، فانطلقت لتبذل الجهود في مأمور ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ ، فصعدت بأقدام الصفا على الصفا ،فلما أطلت الطلّة[1] على الطلل ، توكفت طل روح ينقع الغلّة ، ثم جدّت فجدت الجدد[2] بالجد هابطة فلما طرف طرف[3] سيرها طرف طرف الوادي رفعت طرف ذرعها ثم وسعت خطاها وسعت للجهد بجهد ذرعها ، ثم أتت المروة ، وعادت إلى الصفا سبعا ، فلذلك أمر المكلف أن يسعى ؛ لأنه أثر قدم مقدام ،لتصيب الأقدام نصيبا من مواطىء ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ فسمعت صوتا من صوب ، فنزل المِلك ليزيل النازلة ، فهيّا نزل النزيه[*] ، فزمزم ماء زمزم ، ونزا نزوا[4]

(١) الزوجة .

(٢) الطريق والأرض المستوية .

(٣) الطِرف بالكسر: الفرس الكريمة ، وبالفتح العين ، وبفتح الطاء والراء : الجانب .

(*) نزل : أول ما يقدم للضيف ، والنزيه المراد به إسماعيل عليه السلام، وهيّا بمعنى: أعدّ.

(٤) صفر ووثب .

لا نز[1] نزا. امتدت كف الحرص، فلفقت كالحوض،**فقيل لها**: ليس هذا الماء من كيس كسبك، فما هذا المذق من حرص فعلك، ولو تركت زمزم لكانت عينا معينا.

يا طيب زمزمَ مطعمًا أو مشربا   تهفو لورد نعيمه الأرواحُ
جبريل أطلقه بهمز جناحه   فإذا به مسترسلا ينداحُ
الله أودعه عناصر رُكِّبتْ   فيه يحارُ بكنهها الشرّاحُ
فتضلعوا من مائه وادعوا فقد   جاءت أحاديث بذاك صحاحُ
مَنْ قال زمزم قُدِّست أسرارها   عند الإله فما عليه جُناحُ

ولله در القائل :

أجرى لها الرحمن زمزم آية   فابتَلَّتِ الساحات والأزمانُ
وجرى بكل عروقها منه هوى   وصفت على جنباتها الغُدْرانُ

قال ابن حبان في [صحيحه]: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له: ماء السماء ؛ لأن إسماعيل ولد هاجر ، وقد ربي بماء زمزم ؛ وهي من ماء السماء[2].

---

(١) بدا قليلا .

(٢) فتح الباري : ٦ /٤٥٣ وقال ابن حجر أيضا: « قيل أراد بماء السماء زمزم؛ لأن الله أنبعها لهاجر؛ فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها » .

سنة ، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة ، فسألته رتبة أعلى منها ، فأرجو الله أن أنال ذلك »[١].

وقد نلتها يا ابن حجر يا أستاذ الأستاذين ويا طبيب الحديث في علله .

وتعال إلى السيوطي يقول رحمه الله في كتابه [حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة] : « سافرت – بحمد الله – إلى بلاد الشام والحجاز ، واليمن والهند والمغرب والتكرور ، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور ، منها : أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني . وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر » .

• من شربه بنية الشفاء :

ذكر الفاسي صاحب [العقد الثمين] أن أحمد بن عبد الله الشريفي الفراش بالحرم المكي شرب ماء زمزم للشفاء من العمى ، فشفي على ما أخبرني به شيخنا المفتي عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي .

• من شربه لمقصد فناله :

قال ابن حجر:اشتهر عن الشافعي الإمام أنه شرب ماء زمزم للرمي ، فكان يصيب من كل عشرة تسعة .

ذكر لنا الحافظ زين الدين العراقي أنه شربه لشيء فحصل له .

وذكر الحكيم محمد بن علي الترمذي في [نوادر الأصول] عن والده أنه أخبره : أنه كان يطوف في الليل ، فاشتدت عليه الإراقة ، وخشي أن يخرج من المسجد إلى مكان يقضي حاجته . فتتلوث أقدامه بأقذار الناس ، وكان ذلك في الموسم ، فتوجه إلى زمزم فشرب منها لذلك ، فرجع إلى الطواف ، قال : فلم أحس بالبول حتى أصبحت[٢].

(١) جزء في حديث « ماء زمزم لما شرب له » ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥ – ٣٨ .

قال الحكيم الترمذي : « الشارب لماء زمزم :

- إن شربه لشبع أشبعه الله .
- وإن شربه لريّ أرواه الله .
- وإن شربه لشفاء شفاه الله .
- وإن شربه لسوء خلق حسّنه الله .
- وإن شربه لضيق صدر شرحه الله .
- وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله .
- وإن شربه لغنى النفس أغناه الله .
- وإن شربه لحاجة قضاها الله .
- وإن شربه لأمر نابه كفاه الله .
- وإن شربه للكربة كشفها الله .
- وإن شربه لنصرة نصره الله .

وبأية نية شربه من أبواب الخير والصلاح ، وفّى الله له بذلك ، لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثا »(١) .

روى الحافظ ابن عساكر في [تاريخه] عن أبي الفضل بن خيرون : أن أبا بكر الخطيب كان يذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات ، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات :

فالحاجة الأولى : أن يحدث بتاريخ بغداد بها .
والثانية : أن يملي الحديث بجامع المنصور .
والثالثة : أن يدفن عند قبر بشر الحافي .

فلما عاد إلى بغداد حدّث بالتاريخ بها . ووقع إليه جزء من سماع الخليفة القائم بأمر الله ، فحمل الجزء ومضى إلى باب حجرة الخليفة ، وسأل أن يؤذن

(١) نوادر الأصول ص ٣٤١ .

له في قراءة الجزء ، فقال الخليفة : هذا رجل كبير في الحديث ، وليس له إلى السماع مني حاجة ، ولعل له حاجة أن يتوصل إليها بذلك ، فسلوه ما حاجته ؟ فسئل، فقال: حاجتي أن يؤذن لي أن أملي بجامع المنصور. فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بأن يؤذن له في ذلك ، فحضر النقيب وأملى الخطيب في جامع المنصور.

ولما مات أرادوا دفنه عند قبر بشر ، وكان الموضع لأبي بكر أحمد بن علي فرفض وامتنع أن يدفن الخطيب مكانه ، ثم عاد ورضي بذلك[١].

• الفضيلة الخامسة : ماء زمزم طعام طعم :

قال رسول الله ﷺ : « زمزم طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم »[٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كنا نسميها شباعة - يعني : زمزم - وكنا نجدها نِعْم العون على العيال »[٣].

جمع هذا الماء المبارك بين الإرواء والإشباع ، ولذا لجأ إليه الآباء الذين لا يستطيعون توفير القوت لأولادهم ، وانظر يرحمك الله إلى الصحابي الجليل أبي ذر وحكايته مع زمزم ، يقول رضي الله عنه : « أتيت زمزم فغسلت عني الدماء ، وشربت من مائها ، وقد لبثت - يا بن أخي - ثلاثين ، بين يوم وليلة ، ما كان لي طعام إلا ماء زمزم . فسمنت حتى تكسَّرت عُكَنُ بطني[٤]، وما وجدت على كبدي سُخْفة جوع »[٥].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٧ /٢٤ .

(٢) صحيح : أخرجه ابن أبي شيبة والبزار عن أبي ذر ، وكذا رواه الطيالسي، والطبراني في الكبير والصغير، وصححه في صحيح الجامع .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه حديث ٩١٢٠ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ /٢٨٦، وعزاه للطبراني في الكبير، وقال : رجاله ثقات .

(٤) عُكَن : جمع عكنة، وهي الطي في البطن من السمن، ومعنى «تكسرت» أي انثنت.

(٥) سُخفة جوع : بفتح السين وضمها : رقة الجوع وهزاله .

وسأله الرسول ﷺ : « متى كنت ههنا ؟ » قال : قلت : قد كنت ههنا منذ ثلاثين ، بين يوم وليلة .

قال : « فمن كان يطعمك ؟ » . قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكن بطني ، وما أجد على كبدي سخفة جوع .

قال : « إنها مباركة . إنها طعام طُعم »[١]. وفي حديث صحيح « إنها لمباركة ، هي طعام طعم وشفاء سقم » لقد كانت زمزم طعام أم إسماعيل رضي الله عنها مدة من الزمان .

سبحان الله !! آية من آيات الله في الكون .

لقد أراد الباحثون والعلماء تخليق ماء يضاهي ماء زمزم بكل مواصفاته ، ولكن أنّى لهم هذا ؟! فلا زمزم إلا ما خرج من زمزم[٢] !!.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية : « شاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد ، قريبا من نصف شهر ، أو أكثر ، ولا يجد جوعا ، ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوما ، وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا »[٣].

• الفضيلة السادسة : زمزم شفاء سقم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يحمل ماء زمزم في الأداوي ، والقِرَب ، وكان يصب على المرضى ويسقيهم[٤].

وهذا يوضح استحباب حمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة .

(٢) معجزات الشفاء بماء زمزم . محمد عبد العزيز أحمد ، ومجدي السيد إبراهيم .

(٣) زاد المعاد ٤ /٣٩٤ .

(٤) صحيح : أخرجه الترمذي، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في سننه، والبخاري في تاريخه . انظر السلسلة الصحيحة رقم ٨٨٣ .

عن أبي جمرة الضبعي قال : كنت أجالس ابن عباس بمكة ، فأخذتني الحمى فقال : أبردها عنك بماء زمزم ، فإن رسول الله ﷺ قال : « هي الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء » أو قال : « بماء زمزم »[١] .

قال الأزرقي في كتابه [تاريخ مكة] : عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله أنه كان يقول : بلغني أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق . وأن ماءها مذهب . وأن الاطلاع فيها يجلو البصر ، وأنه سيأتي عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات[٢] .

قال وهب بن منبه : والذي نفس وهب بيده ، لا يعمد إليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع إلا نزعت داء ، وأحدثت له شفاء .

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله : جرّبت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض ، فبرأت بإذن الله .

ويقول أيضا يرحمه الله : ولقد مرّ بي وقت بمكة سقمت فيه ، وفقدت الطبيب والدواء ، فكنت أتعالج بها ؛ أي : بفاتحة الكتاب ، آخذ شربة من ماء زمزم ، وأقرؤها عليها مرارا ، ثم أشربه ، فوجدت بذلك البرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع ، فأنتفع بها غاية الانتفاع[٣] اهـ .

- **ماء زمزم يشفي سيدة من السرطان :**

هذا حدث مع السيدة المغربية (ليلى الحلو) صاحبة كتاب [فلا تنس الله] ونشرت منه المجلة العربية فصولا في عدد رقم (١٤٧) .

اشتد بها المرض ، واحتار الأطباء في أمرها ، وعجز الدواء عن تخفيف آلامها ، وفي باريس شخصوا لها المرض بأنه سرطان في الصدر ينتشر في كل

(١) أخرجه البخاري ،وأحمد في مسنده .

(٢) الدر المنثور ٤ /٢٢١ .

(٣) زاد المعاد ٤ /١٧٨ .

أجزائه ، ولا علاج له .

وقبل العودة إلى المغرب اقترح عليها زوجها أن تسافر إلى مكة لأداء العمرة . وهناك كما تقول السيدة ليلى الحلو : اعتكفت ببيت الله .. داومت على الشرب من ماء زمزم .. واكتفيت برغيف وبيضة واحدة طوال اليوم .. أمضيت أيامي في الصلاة وتلاوة القرآن الكريم والدعاء .. أربعة أيام لم أعرف فيها الليل من النهار.. تلوت القرآن الكريم من أوله حتى نهايته.. كنت في صلواتي أطيل سجودي وأبكي بحرارة على ما فاتني من خير ، وعلى ما أضعته من فرائض .

تقول السيدة ليلى الحلو : وبعد أيام وجدت أن الكويرات الحمراء التي كانت تشوه جسدي قد اختفت نهائيا ، أحسست أن شيئا ما حدث ، وقررت العودة إلى باريس للتشاور مع الأطباء ! .

وهناك كانت دهشة الأطباء الذين أعادوا الكشف عدة مرات ، غير مصدقين الحالة الغريبة الموجودة أمامهم !! .

فقبل أيام أخبروها أن السرطان في كل مكان في صدرها ... والآن لا أثر لهذا السرطان !!! .

ماذا حدث ؟! إنها آية الله في بركة زمزم .

• الفضيلة السابعة : ماء زمزم لا يفسد بمرور الأعوام :

هذه تجربة شخصية ذكرتها [المجلة العربية] ، في عددها رقم (٥٥) الصادر في (ذي الحجة ١٤١٠ هـ - يوليو سنة ١٩٩٠ م) للشيخ عبد الرشيد إبراهيم ؛ التتاري العِرْق ، التركي اللسان ، الروسي الجنسية وهو الداعية والقاضي الذي يجوب البلاد الآسيوية دعوة إلى الإسلام ودوّن رحلته إلى الحج عام ١٣٢٧ في كتابه [عالم الإسلام] وهو كتاب تركي دوّن فيه رحلته في أرجاء العالم الإسلامي.

يقول الشيخ عبد الرشيد :

« قد تكون « زمزم » عين ماء معدني ، إلا أننا نعده ماء مباركا .. وتروى عن زمزم روايات كثيرة ومتعددة مسجلة في بطون الكتب .

كنت أستطيع أن أشرب من ماء زمزم في كل وقت أريد ، وبالقدر الذي أريد ، كنت أشرب كثيرا حتى وصل بي الأمر في مجموع ما شربته منه إلى (١٥) كيلو جراما .. وأتصور أنني كنت أشرب يوميا أكثر من عشر أوقات من هذا الماء المبارك ، ماء زمزم ... يأتي به السقاؤون فأشرب ولا أحس بثقل منه يضايقني ، وكلما شربت أحببت أن أزيد ، وتتملكني الرغبة في الشرب منه . ولقد لمست بحق معنى « زمزم لما شرب له » كما جاء في الأثر .

يملأ الحجاج الصفائح من ماء زمزم ، ويحملونه معهم عند عودتهم إلى بلادهم ، وقد فعلت أنا ذلك في حينه . بقي معي ماء زمزم اثنتي عشرة سنة فلم يفسد ، ولم يعتريه أي تغيير ، وكنت أضعه في زجاجة .

إني شاهد على ذلك بنفسي ، فلقد رأيت ذلك وشاهدته ، وإني أعتقد في ماء زمزم اعتقادا راسخا ، ولي في ذلك تجربة عظيمة .

وها هي ذي تجاربي المادية والمعنوية مع ماء زمزم ، بأي نية شربته فإنه بهذه النية ينفع ، ولكن بشرط أن تشربه كما في حالته الأصلية وبنية خالصة لا يخالطها أدنى ريب .

« زمزم لما شُرب له » حقيقة ثابتة لا شك فيها ولا شبهة ، لكن شرط تحققها إرادة الله أولا ، ثم حسن النية وإخلاصها والاعتقاد التام فيها .

فإذا نقص هذان الشرطان – أو أحدهما – كانت النتيجة سلبيَّة قطعا .

إن نقص الاعتقاد في ماء زمزم يجعل الأمر مثل أشهر أنواع أقراص « السلفاتو » المعروف .

لا يمكن أن يكون دواء للحمى ، ولا يسكن السخونة ولا الحمى في جسم الإنسان ، وعندما ينتهي الإيمان بالدواء لا يمكن أن يكون الشفاء .

وأنا جرّبت زمزم كثيرا ، جرّبته حرفيا لعلاج أمراض عديدة لاسيما لأمراض المثانة وللأمراض الداخلية ولأمراض العيون .

إن ما أشرت إليه جاء نتيجة من تجاربي الفعلية مع ماء زمزم وكانت كلها حاسمة معي » اهـ .

• **الفضيلة الثامنة : ماء زمزم يُتْحَف به الضيفان . ويحمله الركبان :**

ومن فضائل زمزم : أنه يتحف به الضيفان ، ويحمله الركبان . .

روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما « كان إذا نزل به ضيف أتحفه من ماء زمزم ، ولا أطعم قوما طعاما إلا سقاهم من ماء زمزم »[١]. وقال ﷺ : « ابن السبيل أول شارب » يعني : من زمزم[٢].

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ « كان يحمل ماء زمزم »[٣]، وكان يرسل وهو بالمدينة قبل أن تفتح مكة إلى سهيل بن عمرو : أن أهدِ لنا من ماء زمزم ولا تترك ، فيبعث إليه بمزادتين[٤].

---

(١) الدر المنثور ٣ /٢٢٣ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الصغير عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٤ .

(٣) رواه الترمذي، والحاكم في المستدرك، والبخاري في التاريخ، والبيهقي في السنن عن عائشة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٨٠٧ ، والأحاديث الصحيحة رقم ٨٨٣ .

(٤) قال الألباني : أخرجه البيهقي بإسناد جيد عن جابر رضي الله عنه ، وله شاهد مرسل صحيح في [مصنف عبد الرزاق : ٩١٢٧] ، وذكر ابن تيمية أنَّ السلف كانوا يحملونه . انظر مناسك الحج والعمرة للألباني هامش ص ٤٣ .

العقل والمعرفة يقدر القلب على الطيران إلى الله ، فالشارب لزمزم على ذلك »[١].

عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير قال : « لما حج معاوية حججنا معه ، فلمّا طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين ، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا ، فقال : انزع لي منها دلوا يا غلام . قال : فنزع له منه دلوا ، فأتي به فشرب ، وصب على رأسه ووجهه ، وهو يقول : زمزم شفاء ، وهي لما شرب له ». قال ابن حجر : إسناده حسن مع كونه موقوفا .

○ لطيفة ○

هزمة جبريل : أي : غمزته بعقب رجله .

قال الزمخشري : من هزم في الأرض هزمة إذا شق شقة ، والهزم بلغة اليمن : بطنان الأرض .

قال السهيلي : وحكمة فجرها بعقبه دون يده أو غيرها الإشارة إلى أنها لعقبه ووارثه وهو محمد ﷺ وأمته ، كما قال تعالى : ﴿ **وجعلها باقية في عقبه** ﴾ أي : أمة محمد ﷺ . قال النووي : معناه أن من شربه لحاجة نالها ، وقد جرّبه العلماء والصالحون ، لحاجات أخروية ودنيويّة ، فنالوها بحمد الله وفضله .

بدأ غياثا فدام غياثا .

قال مجاهد : ماء زمزم إن شربته تشتفي به شفاك الله . ماء زمزم إن شربته يشبعك أشبعك الله به ، ماء زمزم إن شربته لقطع ظمئك قطعه الله .

قال الشوكاني : فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأي أمر شربه لأجله ، سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة ؛ لأن « ما » في قوله : « لما شرب له » من صيغ العموم .

يا إخوتاه .. لا يصلح إلا الإخلاص ، وسلوا زمزم ، من أراد أن يختبر

(١) فيض القدير ٥ /٤٠٤ .

صدقه ، ويتبين قدره وسط المخلصين ، فليشرب من زمزم وليدع .

• من شرب ماء زمزم اتقاء عطش يوم القيامة :

قال سويد بن سعيد : « رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم ، فاستقى شربة ، ثم استقبل القبلة ، فقال : اللهم إن ابن أبي الموال حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال : « ماء زمزم لما شرب له » . وهذا أشربه لعطش القيامة ثم شربه »(١) .

• من شربه طلبا للعلم والحفظ وحسن التصنيف :

قال الحافظ ابن حجر : « شربه الحاكم أبو عبد الله ، لحسن التصنيف ولغير ذلك ، فصار أحسن أهل عصره تصنيفا »(٢) .

وسئل ابن خزيمة : من أين أتيت العلم ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « ماء زمزم لما شرب له » وإني لما شربت ، سألت الله علما نافعا(٣) .

قال الحميدي : كنا عند ابن عيينة ، فحدثنا بحديث : « ماء زمزم لما شرب له » فقام رجل من المجلس ، ثم عاد فقال : يا أبا محمد ، أليس الحديث الذي قد حدثتنا في زمزم صحيحا ؟ قال بلى . فقال الرجل : فإني شربت الآن دلوا من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث !! فقال ابن عيينة رحمه الله : اقعد ، فحدّثه بمائة حديث(٤) .

وتعالَ إلى ابن حجر فيما يحكيه عن زمزم وهذا الحديث ، قال :

« وأنا شربته مرة وسألت الله – وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث – أن يرزقني حالة الذهبي في حفظ الحديث ، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين

---

(١) تاريخ بغداد. للخطيب البغدادي ١٠ /١١٦ .

(٢) جزء في حديث « ماء زمزم لما شرب له » لابن حجر ص ٣٥ طبع مؤسسة قرطبة .

(٣) سير أعلام النبلاء .

(٤) الدر المنثور ٤ /٢٢١ .